

122178 - كيف يتعامل مع أبيه القاسي في معاملته له ولأمه ولأشقائه ؟

السؤال

أنا شاب مسلم ، ومتدین ، والحمد لله ، ولی أب ظالم ، منذ أن ولدت على هذه الدنيا ووالدي يظلمني ، أنا ، وأمي ، وإخوتي ، مستحيل أن يمر يوم واحد دون أن يختلف المشاكل لنا ، ويضرب أمي فيه ، حتى في العيدین ، والله لا أذكر عيداً واحداً يمر دون أن يختلف مشاكل ، ومصادمات فيه ، مع العلم أنه كان يتقصد فعل ذلك من دون أن نفهم السبب ، كل الناس تسمع ذكر الله ، وتصلی في العيد ، ونحن في البيت نسمع سخطه ، وسبه ، وإهاناته ، والله أصبح الناس يكرهون مخالطتنا منه ، ومن سوء معاملته معهم ، لقد تدين أموالاً كثيرة من الناس ، دون أن يسددها ، وما زالت الديون تتکاثر حتى الآن ، وظلمه يزداد يوماً بعد يوم ، تارة يتهمني بأشياء لا صلة لي بها ، وتارة يغضب عليٍّ بعد الشجر ، والحجر ، دون أن أعرف السبب ، حتى غضبه نكون جالسين في الصالة ، وكل شيء عادي ، وبعدها لا تراه إلا يسب ، ويشتتم ، ويضرب ، من دون سبب ، عندما كنت صغيراً : كان أقاربي يعطونني العidine ، كنت أفرح بها كثيراً ، لكن عندما ينتهي العيد يأتي وياخذها مني ليفعل بها ما يريد ، كرهت هذا الأب ، ولو طالما فكرت أن أخرج من البيت ، وأن لا أعود إليه أبداً ، لكن ما يحز بخاطري هي أمي ، لا أريد أن أتركها وحيدة معه ، أنا أحب أمي كثيراً ، وأحاول أن أفعل أي شيء حتى ترضى ، لكن هو لا أطيق حتى أن أنظر إليه ، لذلك أريد أن أسأل : كيف تكون المعاملة مع هذا الوالد ؟ .

الإجابة المفصلة

أولاً:

خلق الله الخلق وجعل فيهم الرحمة والعطف ، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأقوى ما تكون هذه الرحمة ، وأعظم ما يكون هذا العطف : ما يكون من الوالدين تجاه أولادهم ، فإذا رأيت من لا يتصف بهذا من عموم الخلق ، أو من خصوص الآباء والأمهات : فهو خارج عن الفطرة ، نُزعت الرحمة من قلبه ، فصارت الحجارة خيراً منه ، قال تعالى : (ثُمَّ قَسَّثُ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً وَإِنَّ الْحِجَارَةَ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيشَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة / 74 .

وإن أعظم ما يسبب هذه القسوة - وبخاصة من الآباء - هو : الدين ، والبيئة ، ولذا رأينا المشركيين يقتلون أولادهم بسبب الرزق ! وخشية العار ! وتقرباً لآهتهم ! فـأي قسوة أعظم من هذه ، أن يحفر لابنته حفرة ، ثم يدفنها حيّة ؟ ! ، قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ رَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شَرَكًا وَهُمْ لَيَرْدُو هُمْ وَلَيُلْسِسُوا عَلَيْهِمْ دِيَنَهُمْ وَأَنْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) الأنعام / 137 .

وللبيئة البيئية ، أو المكانية تأثيرها على القلوب في قسوتها ، حتى إن بعض ساكني البيئات الجافة ، والمنتكسة ليحن على حيوانه الأوليف ، أو على دابته أكثر من حنوه على أولاده .

عن عائشة قالت : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تُقبّلون الصّبيان ؟ فما نُقّبّلهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (

أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة .

رواه البخاري (5652) ومسلم (2317) .

ثانياً:

مع قسوة الأب ، وغلوظته ، بل ولو كان معهما كفر بالله تعالى : فإن الله تعالى قد أمر ببره ، والتلطف في معاملته ، ولا يستثنى من ذلك إلا الطاعة في المعصية ؛ فإنها تحرم على الأولاد أن يفعلوها .

قال تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقْلِيلَ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) الإسراء / 23 .

وقال تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهِمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتْتِيْعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَبْيَثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لقمان / 15 .

ثالثاً:

كيف يقابل الأولاد قسوة والدهم ؟ إن أسهل الطرق للتخلص من هذه القسوة ، وسوء المعاملة - أخي السائل - هي الخروج من البيت ! لكنه ليس حلاً ؛ لأن مقتضى الرحمة بالوالد تقضيبقاء لدعوه ، والإحسان إليه ، ولسبب آخر : أن أمك ، وأشقاءك أحوج ما يكونون إليك مع تلك المعاملة القاسية من والدك للجميع ، لذا فإننا ننصحك بما يلي :

1. الصبر .

2. الإحسان إليه ، وعدم رد الإساءة بمثلها .

3. الابتعاد بالكلية عن كل ما يغضبه ، ويسبب له الاحتقان ، من أفعال ، وأقوال منكم .

4. الحرص على هدايته ، وتعليمه ، ووعظه ، ونصحه ، بالطرق المناسبة له ، كاسماه شريطاً ، أو إهدائه كتاباً ، أو التنسيق مع دعاة لزيارتكم ، والتعرف عليه ، أو غير ذلك مما يناسب حاله ، وبينتكم .

5. الدعاء له بالهداية ، والتوفيق .

سئل الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - :

نحن عشرة إخوة ، تتدرج أعمارنا إلى تسع عشرة سنة ، ونعيش مع والدنا ، ووالدتنا في مسكن واحد ، ونحن - والحمد لله - متمسكون بالدين الحنيف ، فنصلي فروضاً ، ونوافل ، ونصوم فرضاً ، وتطوعاً ، ولكن مشكلتنا : والدنا ، الذي يسيء معاملتنا في البيت ، فهي أشبه بمعاملة البهائم ، إن لم تكن أسوأ ! بالرغم من أننا نووره كل التوقير ، ونحترمه جل الاحترام ، ونهيي له كل وسائل الراحة والهدوء ، ولكنه مع ذلك يعاملنا ووالدتنا أسوأ معاملة ، فلا ينادي إلينا إلا بأسوأ الحيوانات ، ودائماً يدعو علينا وينتقدنا في كثرة تمسكنا بالدين ، وإلى جانب ذلك كثيراً ما يغتاب الناس ، ويسعى بالنميمة بينهم ، ويفعل هذه الأفعال مع صلاته وصيامه ، فهو محافظ على الصلوات المفروضة في المساجد ، ولكنه لم يقلع عن هذه العادة السيئة ، حتى سبب لنا ولوالدتنا الضجر ، والضيق ، فقد سئلنا صبراً ، وأصبحنا لا نطيق العيش معه على هذه الحالة ، فما هي نصيحتكم له ؟ ونحن ماذا يجب علينا نحوه ؟ جزاكم الله خيراً .

أولاً :

يجب على الوالد أن يحسن إلى أولاده ، ويستعمل معهم اللين في وقته ، والشدة في وقتها ، فلا يكون شديداً دائماً ، ولا يكون ليئنا دائماً ، بل يستعمل لكل وقت ما يناسبه ؛ لأنه مربٌ ، ووالد ، فيجب عليه أن يستعمل مع أولاده الأصلاح ، دائماً ، وأبداً ، إذا رأى منهم الإحسان :

لا يشتد عليهم ، وإذا رأى منهم الإساءة : يشتد عليهم ، بنسبة ترددتهم عن هذه الإساءة ، ويكون حكيمًا مع أولاده .

هذا هو الواجب عليه ، فلا يقسوا عليهم بما ينفرهم ، ولا يشتد عليهم من غير موجب ، ومن غير مبرر ، بل يحسن أخلاقه معهم ؛ لأنهم أولى الناس بمحاسنه ، وعطفهم ، وحتى ينشئوا على الدين ، والخلق ، والعادات السليمة .

أما إذا نفرهم بقسوته ، وغلظته المستمرة : فإن ذلك مدعوة لأن ينفروا منه ، وأن ينشئوا نشأة سيئة ، فالواجب على الأب أن يلاحظ هذا مع أولاده ؛ لأنهم أمانة عنده ، وهو مسئول عنهم ، وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

أما واجبكم نحوه : الإحسان ، والصبر على ما يصدر عنه ، هو والدكم ، وله الحق الكبير عليكم ، وأنتم أولاده ، الواجب : أن تحسنوا إليه ، وأن تصبروا على ما يصدر منه من قسوة ؛ فإن ذلك مدعوة لأن يتراجع ، وأن يعرف خطأه ، والله تعالى أعلم .

" المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان " (5 / 382 ، 383) ، السؤال 504 .

وانظر جوابي للسؤالين : (7722) و (87802) .

والله أعلم